بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝

سورة الهمزة : مكية وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝

سورة الفيل : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ

هذا قول أبي بن كعب سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال أقسم ربكم بآخر النهار : والثالث أنه الزمان (إن الانسان لفي خسر) الانسان جنس ولذلك استثنى منه الذين آمنوا فهو استثناء متصل (وتواصوا بالحق) أى وصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر فالحق هو الاسلام وما يتضمنه وفيه إشارة إلى كذب الكفار وفى الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذاية الكفار لهم بمكة

﴿سورة الهمزة﴾ (ويل لكل همزة لمزة) هو على الجملة الذى يعيب الناس ويأكل أعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة واختلف فى الفرق بين الكلمتين فقيل الهمز فى الحضور واللمز فى الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد والعين واللمز باللسان ، وقيل : هما سواء ونزلت السورة فى الأخنس بن شريق لأنه كان كثير الوقيعة فى الناس وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم فى كل من اتصف بهذه الصفات (وعدده) أى أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فمنعه من الخيرات ، وقيل معناه استعده وادخره عدة لحوادث الدهر (أيحسب أن ماله أخلده) أى يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده فى الدنيا وقيل يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد (كلا) رد عليه فيما ظنه (لينبذن فى الحطمة) هذا جواب قسم محذوف والحطمة هى جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهبه وقد عظمها بقوله وما أدراك ثم فسرها بأنها (نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة) أى تبلغ القلوب بإحراقها قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما فى القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها (مؤصدة) مغلقة (فى عمد ممددة) العمد جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع ، وقرئ عمد بضمتين ، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب والممددة الطويلة ، وفى المعنى قولان : أحدهما أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا فى الإغلاق والثقاف كما تثقف أبواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بمؤصدة ، والآخر أنهم موثوقون مغلولون فى العمد فالمجرور على هذا فى موضع خبر مبتدأ مضمر تقديره هم موثوقون فى عمد

﴿سورة الفيل﴾ نزلت هذه السورة منبهة على العبرة فى قصة الفيل التى وقعت فى عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه ، وقد ذكرت القصة فى كتب السير وغيرها

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝

سورة قريش : مكية وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝

واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتا باليمن وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة فذهب أعرابى وأحدث فى البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة فاحتفل فى جموعه وركب الفيل وقصد مكة فلما وصل قريبا منها فر أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة وأخذ لعبد المطلب مائتى بعير فكلمه فيها فقال له كيف تكلمنى فى الإبل ولا تكلمنى فى الكعبة وقد جئت لهدمها وهى شرفك وشرف قومك فقال له أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه فبرك الفيل بذى الغميس ولم يتوجه إلى مكة فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هرول وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضعوه بالحديد فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيوراً سوداً وقيل خضراً عند كل طائر ثلاثة أحجار فى منقاره ورجليه فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل من وقع عليه وروى أنه كان يدخل فى رأسه ويخرج من دبره ووقع فى سائرهم الجدرى والأسقام وانصرفوا فماتوا فى الطريق متفرقين فى المراحل وتقطع أبرهة أنملة أنملة (ألم تر كيف) معناه ألم تعلم وكيف فى موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر والجملة معمول ألم تر (فى تضليل) أى إبطال وتخسير (أبابيل) معناه جماعات شيئا بعد شىء قال الزمخشرى واحدها أبالة وقال جمهور الناس هو جمع لا واحد له من لفظه (بحجارة) روى أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة قال ابن عباس إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفتين من هذه الحجارة وأنها كانت مخططة بحمرة وروى أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوبا (سجيل) قد ذكر (كعصف مأكول) العصف ورق الزرع وتبنه والمراد أنهم صاروا رميما وفى تشبيههم به ثلاثة أوجه الأول أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته فجمع التلف والخسة ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن . الثانى أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود . الثالث أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقى هو لا شىء

﴿سورة قريش﴾ (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) قريش هم حىّ من عرب الحجاز الذين هم من ذرية معد بن عدنان إلا أنه لا يقال قريشى إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت نحو بنى هاشم وبنى أمية وبنى مخزوم وغيرهم وإنما سميت القبيلة قريشا لتقرشهم والتقرش التكسب وكانوا تجارا ، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا ؟ قال : لدابة فى البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى ، وكانوا ساكنين بمكة ، وكان لهم رحلتان فى كل عام للتجارة رحلة فى الشتاء إلى اليمن ورحلة فى الصيف إلى الشام ، وقيل كانت الرحلتان جميعا إلى الشام ، وقيل كانوا يرحلون فى الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل ، فيقيمون بها ويرحلون فى الشتاء إلى مكة لسكناهم بها والإيلاف مصدر من قولك آلفت المكان إذا ألفته وقيل هو منقول منه بالهمزة يقال ألف الرجل الشىء وألفه إياه غيره فالمعنى على القول الأول أن قريشا ألفوا رحلة الشتاء والصيف وعلى الثانى أن الله ألفهم الرحلتين واختلف فى تعلق قوله لإيلاف قريش على ثلاثة أقوال : أحدها أنه يتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم : الثانى أنه يتعلق بمحذوف تقديره اعجبوا لإيلاف قريش : الثالث أنه

الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝

سورة الماعون : مكية ثلاث الآيات الأول ، مدنية الباقى : وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝

يتعلق بسورة الفيل والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش فهو يتعلق بقوله فجعلهم أو بما قبله من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين فى مصحف أبىّ بن كعب سورة واحدة لافصل بينهما وقد قرأهما عمر فى ركعة واحدة من المغرب ، وذكر الله الإيلاف أولا مطلقا ثم أبدل منه الايلاف المقيد بالرحلتين تعظيما للأمر ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم وقال رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر ۝ كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ۝ (فليعبدوا رب هذا البيت) هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة واستدعاء لهم وتذكير بالنعم والبيت هو المسجد الحرام (الذى أطعمهم من جوع) يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد روى أنهم كانوا قبل ذلك فى شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف ويحتمل أن يريد إطعامهم على الاطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذى زرع ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله وارزقهم من الثمرات (وآمنهم من خوف) يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل ويحتمل أن يريد آمنهم فى بلدهم بدعوة إبراهيم فى قوله « رب اجعل هذا بلدا آمنا » وقد فسرناه فى موضعه أو يعنى آمنهم فى أسفارهم لأنهم كانوا فى رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل آمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذوما قال الزمخشرى : التنكير فى جوع وخوف لشدتهما

﴿ سورة الماعون ﴾ (أرأيت الذى يكذب بالدين) قيل إن هذا نزل فى أبى جهل وأبى سفيان بن حرب وقيل هو مطلق والدين هنا الملة أو الجزاء (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه ، والاحسان إليه أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد والذى لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى وهذه الجملة هى جواب أرأيت لأن معناها أخبرنى فكأنه سؤال وجواب والمعنى انظر الذى كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قيل إن هذا نزل فى عبدالله بن أبىّ ابن سلول المنافق والسورة على هذا نصفها مكى ونصفها مدنى قاله أبو زيد السهيلى وذلك أن ذكرى أبى جهل وغيره من الكفار أكثر ماجاء فى السور المكية وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا بالمدينة لاسيما على قول من قال إنها فى عبدالله بن أبىّ ، وقيل إنها مكية كلها وهو الأشهر ونزل آخرها على هذا فى رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الايمان ، وقيل مدنية ، والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاونا بها ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الذين يؤخرونها عن وقتها وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذى قال « عن صلاتهم ساهون » ولم يقل فى صلاتهم (الذين هم يراؤن) هو من الرياء أى صلاتهم رياء للناس لا لله (ويمنعون الماعون) وصف لهم

سورة الكوثر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۞

سورة الكافرون : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلَا

بالبخل وقلة المنفعة للناس . وفى الماعون أربعة أقوال : الأول أنه الزكاة ، الثانى أنه المال بلغة قريش . الثالث أنه الماء ، الرابع أنه مايتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الشيء الذى لايحل منعه ؟ فقال الماء والنار والملح وزاد فى بعض الطرق الإبرة والخميرة

﴿ سورة الكوثر ﴾ (إنا أعطيناك الكوثر) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والكوثر بناء مبالغة من الكثرة وفى تفسيره سبعة أقوال : الأول حوض النبى صلى الله عليه وسلم : الثانى أنه الخير الكثير الذى أعطاه الله فى الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير ، فإن قيل إن النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم . الثالث أن الكوثر القرآن . الرابع أنه كثرة الأصحاب والأتباع . الخامس أنه التوحيد . السادس أنه الشفاعة ، السابع أنه نور وضعه الله فى قلبه ولاشك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ماالكوثر هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء (فصل لربك وانحر) فيه خمسة أقوال : الأول أنه أمره بالصلاة على الاطلاق وبنحر الهدى والضحايا ، الثانى أنه صلى الله عليه وسلم كان يضحى قبل صلاة العيد فأمره أن يصلى ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحى عن الصلاة الثالث أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون الأصنام فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم صل لربك وحده وانحر له أى لوجهه لا لغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والاخلاص . الرابع أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك فى الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر . الخامس أن معناه ارفع يديك عند نحرك فى افتتاح الصلاة (إن شانئك هو الأبتر) الشانئ هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية فى العاصى بن وائل ، وقيل فى أبى جهل على وجه الرد عليه إذ قال إن محمدا أبتر أى لا ولد له ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أى مقطوع عنها ولأنه لايذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كالدهر

﴿ سورة الكافرون ﴾ سبب هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصى بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا يا محمد اتبع ديننا ونتبع دينك اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن نشرك بالله شيئا ونزلت السورة فى معنى البراءة من آلهتهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها فقد برئ من الشرك (لا أعبد ماتعبدون) هذا إخبار أنه لايعبد أصنامهم ، فإن قيل لم كرر هذا المعنى بقوله ولا أنا عابد ماعبدتم ؟ فالجواب من وجهين أحدهما قاله الزمخشرى وهو أن قوله لا أعبد ماتعبدون يريد فى الزمان المستقبل وقوله

أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۞

سورة النصر

نزلت بمنى فى حجة الوداع فتعد مدنية وهى آخر مانزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ

ولاأناعابد ماعبدتم يريد به فيما يضى أى ما كنت قط عابداًماعبدتم فيماسلف فكيف تطلبون ذلك منى الآن الثانى قاله ابن عطية وهوأن قوله لاأعبد ماتعبدون لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال ولاأنا عابد ماعبدتم أى أبداً ماعشت لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال بقوله لاأعبد لايحتمل أن يراد به الحال ويحتمل عندى أن يكون قوله لاأعبد ماتعبدون يرادبه فى المستقبل على حسب ماتقتضيه لا من الاستقبال ويكون قوله ولاأناعابدماعبدتم يريد به فى الحال فيحصل من المجموع نفى عبادته للأصنام فى الحال والاستقبال ومعنى الحال فى قوله ولاأنا عابد ماعبدتم ثم أظهر من معنى المضى الذى قاله الزمخشرى ومن معنى الاستقبال فان قولك مازيد بقائم بنفى الجملة الاسمية يقتضى الحال (ولاأنتم عابدون ماأعبد) هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لايعبدون الله كما قيل لنوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إلا أن هذا فى حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر وقد روى أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبوجهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف وأبى بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارا فإن قيل لم قال ماأعبد بمادون من التى هى موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن ذلك لمناسبة قوله لاأعبد ماتعبدون فإن هذا واقع على الأصنام التى لاتعقل ثم جعل ماأعبد على طريقته لتناسب اللفظ . الثانى أنه أراد الصفة كأنه قال لاأعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشرى . الثالث أن ما مصدرية والتقدير لاأعبد عبادتكم ولاتعبدون عبادتى وهذا ضعيف، فإن قيل لم كرر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد مرة أخرى ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما قول الزمخشرى وهو أن الأول فى المستقبل والثانى فيما مضى والآخر قاله ابن عطية وهو أن الأول فى الحال والثانى فى الاستقبال فهو حتم عليهم أن لايؤمنوا أبداً (لكم دينكم ولى دين) أى لكم شرككم ولى توحيدى وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف

﴿سورة النصر﴾ سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا إن الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم ياعبدالله ماتقول أنت ؟ قال هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح فقال عمر ما أعلم منها إلا ماعلمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويؤيده قول عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إنى أستغفرك يتأول القرآن أى هذه السورة وقال لها مرة ماأراه إلا حضور أجلى وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق فى حجة الوداع وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوماً أو نحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع (إذاجاء نصر الله والفتح) يعنى بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التى فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس إن النصر صلح الحديبية والفتح فتح مكة وقيل النصر إسلام أهل

بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

سورة المسد : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝

اليمن والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه فى فتح مكة عشرة آلاف وكان معه فى غزوة تبوك سبعون ألفا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى العرب رجل كافر وقد قيل إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفا (فسبح بحمد ربك واستغفره) قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم ، فإن قيل لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح ، عند اقتراب أجله ؟ فالجواب أنه أمر بالتسبيح والحمد ليكون شكرا على النصر والفتح وظهور الاسلام وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زادا للآخرة وعدة للقاء الله

﴿سورة أبى لهب﴾ سببها أنه لما نزل قوله تعالى «وأنذر عشيرتك الأقربين» صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ثم أنذرهم عموما وخصوصا فقال له أبو لهب تبا لك لهذا جمعتنا فنزلت السورة (تبت يدا أبى لهب) معنى تبت خسرت والتباب هو الخسران وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس عداوة له فإن قيل لم ذكره الله بكنيته دون اسمه ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبى بكر وغيره ويقال إنه كنى بأبى لهب لتلهب وجهه جمالا : الثانى أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية : الثالث أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب ولينا سب ذلك قوله سيصلى نارا ذات لهب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفى وماله هو رأس ماله وما كسب الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب (سيصلى نارا ذات لهب) هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا (وامرأته حمالة الحطب) اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهى أخت أبى سفيان وعمة معاوية وفى وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال أحدها أنها كانت تحمل حطبا وشوكا فتلقيه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم لتؤذيه . الثانى أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أى يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم . الثالث أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به : الرابع أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها (فى جيدها حبل من مسد) الجيد العنق والمسد الليف ، وقيل الحبل المفتول وفى المراد به ثلاثة أقوال : الأول أنه إخبار عن حملها الحطب فى الدنيا على القول الأول وفى ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها . والآخر أنه حالها فى جهنم يكون كذلك أى يكون فى عنقها حبل . الثالث أنها كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت لأنفقنها على عداوة محمد فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرجها ويحتمل قوله وامرأته وما بعده وجوها من الإعراب

سورة الإخلاص مكية : وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۞

يختلف الوقف باختلافهاوهى أن يكون امرأته مبتدأوحمالة الحطب خبره ، أويكون حمالة الحطب نعت والخبر فى جيدها حبل من مسد أويكون امرأته معطوفاعلى الضمير فى يصلى وحمالة الحطب نعت أوخبر ابتداء مضمر

﴿سورة الإخلاص﴾ سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه فى التوراة ونسبها ، فارتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة ، وقيل إن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية ، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية ، واختلف فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . فقيل إن ذلك فى الثواب أى لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن ، وقيل إن ذلك فيما تضمنته من المعانى والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصص ، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهى ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث . ويؤيده أن فى بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن وخرج النسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرؤها فقال أما هذا فقد غفر له ، وفى رواية أنه قال وجبت له الجنة ، وخرج مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فى الصلاة قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لأى شىء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه وفى رواية خرجها الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال للرجل حبك إياها أدخلك الجنة ، وخرج الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين (قل هو الله أحد) الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذى يراد به التعظيم والتفخيم ، وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التى بعده وهى المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان أحدهما أن يكون من أسماء النفى التى لاتقع إلا فى غير الواجب كقولك ماجاءنى أحد وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفوا أحد والآخر أن يكون بمعنى واحد وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة فى حق الله تعالى . الأول أنه واحد لاثانى معه فهو نفى للعدد . والثانى أنه واحد لانظير ولا شريك له كما تقول فلان واحد عصره أى لانظير له والثالث أنه واحد لاينقسم ولايتبعض والأظهر أن المراد فى السورة نفى الشريك لقصد الرد على المشركين ومنه قوله تعالى « وإلهكم إله واحد » قال الزمخشرى أحد وصف بالوحدانية ونفى الشركاء قلت وقد أقام الله فى القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك فى القرآن كثير جدا وأوضحها أربعة براهين: الأول قوله « أفمن يخلق كمن لايخلق » لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكا له ، والثانى قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » والثالث قوله « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا

إلى ذى العرش سبيلا » والرابع قوله « وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» وقد فسرنا هذه الآيات فى مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد فى قوله « وإلهكم إله واحد » (الله الصمد) فى معنى الصمد ثلاثة أقوال : أحدها أن الصمد الذى يصمد إليه فى الأمور أى يلجأ إليه ، والآخر أنه الذى لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله «وهو يطعم ولا يطعم» والثالث أنه الذى لا جوف له ، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها فهى مفتقرة إليه أى تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه فى القرآن حيثما ورد نفى الولد عن الله تعالى كقوله فى مريم «وقالوا اتخذ الله ولدا» ثم أعقبه بقوله « إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا » وقوله « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد» وقوله «وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض » وكذلك هنا ذكره مع قوله « لم يلد » فيكون برهانا على نفى الولد ، قال الزمخشري : صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه فى الحوائج (لم يلد) هذا رد على كل من جعل لله ولدا فمنهم النصارى فى قولهم « عيسى ابن الله » واليهود فى قولهم « عزير ابن الله » والعرب فى قولهم « الملائكة بنات الله » وقد أقام الله البراهين فى القرآن على نفى الولد وأوضحها أربعة أقوال : الأول ، أن الولد لابد أن يكون من جنس والده . والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » فوصفهما بصفة الحدوث لينفى عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار ،الثانى: أن الوالد إنما يتخذ ولداً للحاجة إليه والله لا يفتقر إلى شىء فلا يتخذ ولداً وإلى هذا أشار بقوله « قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى» الثالث : أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافى النبوة وإلى هذا أشار بقوله تعالى « إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا» الرابع : أنه لا يكون له ولد إلا لمن له زوجة والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (ولم يولد) هذا رد على الذين قالوا انسب لنا ربك وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذى لا افتتاح لوجوده القديم الذى كان ولم يكن معه شىء غيره فلا يمكن أن يكون مولوداً تعالى عن ذلك (ولم يكن له كفؤاً أحد) الكفؤ هو النظير والمماثل قال الزمخشرى يجوز أن يكون من الكفاءة فى النكاح فيكون نفيا للصاحبة وهذا بعيد والأول هو الصحيح ومعناه أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل ويجوز فى كفؤا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ بالوجهين ويجوز أيضا كسر الكاف وإسكان الفاء ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفوا على أنه خبر كان وأحد اسمها قال ابن عطية ويجوز أن يكون كفوا حالا لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها ، فإن قيل لم قدم المجرور وهو له على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى . والآخر أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفى الكفؤ مطلقا إنما المقصود نفى الكفؤ عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذى يحرز هذا المعنى فقدم فإن قيل إن قوله « قل هو الله أحد» يقتضى نفى الولد والكفؤ فلم نص على ذلك بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشىء بالذكر بعد دخوله فى عموم ما تقدم كقوله تعالى « وملائكته ورسله وجبريل وميكال

سورة الفلق : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۞

ويفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا أحدهما الاعتناء ولاشك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به الرد على من قال خلاف ذلك من الكفار . والآخر الإيضاح والبيان فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيدا لإقامة الحجة عليهم

﴿ سورة الفلق ﴾ (قل أعوذ برب الفلق) تقدم معنى أعوذ في التعوذ ومعنى رب في اللغات والفاتحة ، وفي الفلق ثلاثة أقوال : الأول أنه الصبح ومنه فالق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول ، الثاني : أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك ، الثالث : أنه جب في جهنم ، وقد روى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من شر ما خلق) هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعاذنا الله منها وما هنا موصولة أو موصوفة أو مصدرية (ومن شر غاسق إذا وقب) فيه ثمانية أقوال ، الأول : أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى « إلى غسق الليل » وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولذلك قال في المثل : الليل أخفى للويل . الثاني أنه القمر . خرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به . الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول . الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله ، الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا . السادس أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس . السابع قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ، الثامن أنه إبليس حكى ذلك السهيلي (ومن شر النفاثات في العقد) النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك وحكى ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرضع في الحين قال الزمخشري إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه : أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن ائتمن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن . والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصح لأنه روى أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعقدن له إحدى عشر عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد وشفى الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل لم عرف

سورة الناس : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَٰهِ النَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

النفاثات بالألف واللام ونكر ماقبله وهو غاسق ومابعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه ؟ فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما فى بعض دون بعض (من شر حاسد إذا حسد) الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها فى السماء والأرض أما فى السماء فحسد إبليس لآدم وأما فى الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه . الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام الثانية سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله فى فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغمه فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود فى نعمة والحاسد فى كرب ونقمة ولله در القائل

وإنى لأرحم حساد ى لفرط ما ۞ ضمت صدورهم من الأوغار ۞ نظروا صنيع الله بى فعيونهم ۞ فى جنة وقلوبهم فى نار

وقال آخر : إن يحسدونى فإنى غير لائمهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم مابى ومابهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكى كأنه مظلوم ولقد صدق القائل

كل العداوة قد ترجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء : وأظلم خلق الله من بات حاسداً ... لمن بات فى نعمائه يتقلب

قال ابن عطية قال بعض الحذاق هذه السورة خمس آيات وهى مراد الناس بقولهم للحاسد الذى يخاف منه العين الخمسة على عينك ، فإن قيل لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد بإذا التى تقتضى تخصيص بعض الأوقات ؟ فالجواب أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أبدى حسده فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين فإن عين الحسود قاتلة وأما إذا لم يبد حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة فمخرجه من الحسد أن لا يبغى ومخرجه من الظن أن لا يحقق ومخرجه من الطيرة ألا يرجع ، فلهذا خصه بقوله إذا وقب ، فإن قيل إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كل ماذكر بعده فلأى شىء ذكر مابعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم ولقد تأكد ما ذكر فى هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذى سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له

﴿ سورة الناس ﴾ (قل أعوذ برب الناس) إن قيل لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شىء ؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعويذ والمقصودون هنا دون غيرهم (ملك الناس إله الناس) هذا عطف بيان فإن قيل لم قدم وصفه تعالى برب ثم بملك ثم بإله ؟ فالجواب أن هذا على الترتيب فى الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال فلان رب الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك ولا شك

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ *

أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به فإن قيل لم أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله برب الناس أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية ؟ فالجواب أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شيء * يغص الموت ذا الغنى والفقير (الوسواس) هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدل وصوم أو على حذف مضاف تقديره ذي الوسواس وقال الزمخشري إنما المصدر وسواس بالكسر (الخناس) معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن في الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك (الذي يوسوس في صدور الناس) وسوسة الشيطان في صدر الانسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الانسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء واحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه فإن قيل لم قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس ؟ فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة وأنها غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب (من الجنة والناس) هذا بيان لجنس الوسواس وأنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى « شياطين الانس والجن » أو يريد به نفس الانسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمارة بالسوء والأول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس وليس الناس على هذا ممن يوسوس والأول أظهر وأشهر فإن قيل لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده والنعم مظنة الحسد ختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله . الثاني يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط كما قال في فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها . الوجه الثالث يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا رب غيره

كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وعونه وحسن توفيقه